ادباء ... و"ادباتيون" !

بقلم نجيب سرور

مخدوعون او مخادعون .. أولئك الذين يعتبرون دعوة « الادب للحياة» دعوة الى ادب شعبي . اما المخدوعون فضحايا فهم سطحي خاطيء للمسألة ، واليهم نمد ايدينا في عطف وحب وامل واليهم وحدهم نتوجه بالحديث . اما المخادعون فيرمون — مع سبق الاصرار — الى تمييع المسألة وطمس معالمها ويقصدون الى التنفير من دعوة الادب للحياة باخفاء حقيقتها وراء صورة تائهة كخيفة . ولسنا نعلق على هذا النوع املًا . كما اننا — بصراحة — لا نشعر نحوهم بعطف او حب او احترام. فهم يقابلون بحق بين دعوة « الادب للادب » ودعوة « الادب للحياة » ولكنهم اذ يرادفون بسوء نية بين الادب الشعبي للحياة فان الادب الشعبي يصبح بطريقة ميكانيكية مقابلًا لدعوة الادب للادب ، رغم ان بعداً شاسعاً بين المدلول الشائع للادب الشعبي والمدلول الحقيقي لادب الحياة يجعل من عملية المرادفة بينهما عملية ذات نتائج تبلغ حداً من الخطورة يضعها في مستوى التجريم ...

فهذه المرادفة تسمح للبعض بان يقول ان الادب للحياة دعوة للهبوط الى مستوى الشعب !.. وحين تصور المسألة للضحايا هذا التصوير فانهم سيفضلون — معذورين — البقاء في مستواهم الآني الاعلى من مستوى الدهماء « والغوغاء والسوقة والصعاليك » !.. وشكراً للعقاد الذي علمنا هذه المترادفات لمفهوم الشعب لديه. ثم معنى هذه المرادفة ذوبان فردية الاديب في محلول جماعي ، في انضواء قطيعي لا يسمح لذاتية الاديب بالتحقق والتجسد والتفرد . واذ تصور المسألة للضحايا بهذه الصورة الشنيعة ، بين ادب يتيح لذاتية الاديب ان تتحقق — الادب للادب — وادب يلغي هذه الذاتية ويذيبها — الادب للحياة — !.. فان الضحايا سيختارون التفرد والتأله والاستعلاء ليقفوا من الادب للحياة موقف الدفاع عن النفس . وهذه المرادفة هي التي تسمح للمجمعيين ان يلطموا الخدود ويشقوا الجيوب على اللغة العربية . اذ تصبح دعوة الادب للحياة دعوة الى العامية ما دامت في ظنهم دعوة الى ادب شعبي، وبذا تكون مؤامرة دنيئة يراد بها القضاء على لغة القرآن.. ومصادرة الاسلوبية .. وغلق المجمع اللغوي المقدس !.. وهذه المرادفة اخيراً هي التي تسمح للبعض ان يلبس قناع الواقعية نزولاً على مقتضيات قانون العرض والطلب في الانتاج الادبي. فما دامت سلعة « الشعبية » هي الرائجة المطلوبة فليكتب من يشاء عن الشعب . ولكنك حين تمتحن كتابات هذا النوع البهلواني المقنع فانت بلا شك واجد فيها اساساً عريضاً من سوء النية او من الغباء . فهو يكتب عن الشعب بروح اخرى غير شعبية .. روح مضادة للشعبية .. يخفيها ببراعة وراء الاسماء الشعبية في قصة او الاستعارات الشعبية في قصيدة او الاجواء الشعبية في مسرحية او الشعارات الشعبية في مقالة . او هو يكتب عن الظواهر الشعبية بلا وعي للعلاقات الموضوعية بينها .. بلا وعي لاسبابها وعللها ودلالاتها الجذرية العميقة المتشابكة . بلا وعي للصراع .. للحركة الصاعدة التي تعتمل تحت طبقات الجليد والتي تحاول ان تتكشف عن نفسها من خلال كفاح بطولي مستميت مع عوامل الضغط والزمهرير.

كم يبدو الامر غريباً للقارىء لو عرف انه في داخل الادب الشعبي ذاته — ذلك الذي يحسب او يراد له ان يحسب مقابلًا لدعوة الادب للادب — تعتمل المعركة الحادة نفسها بين ادب شعبي «للحياة» وادب شعبي « للادب » !

فهناك نوعان من الادب الشعبي موسومان بالشعبية [1] وفي هذا فقط يستويان.. في مجرد الاسم .. ولكنهما يتنافران من حيث الجوهر، من حيث المضمون.. فيندرج احدهما تحت دعوة الادب للادب ويندرج الآخر تحت دعوة الادب للحياة. ومن حق القارىء ان يعرف اي النوعين هو الشعبي حقيقة من حيث المصدر والمحتوى والخصائص والغاية كي يستطيع في يسر ان

---

١ يراجع كتاب « الأدب الشعبي » لأحمد رشدي صالح .. وهو من أروع ما أخرجته المطبعة المصرية في فترة ما بعد الحرب .

يفرق بين آداب الحياة وآداب الموت .. التي كثيراً ما تدرج معاً – كذر للغبار في العيون – تحت اصطلاح واحد كالشعبية او كالالتزام . وهكذا سنتطرق بالقارىء في النهاية الى هذه المشكلة التي أصبنا من الصراخ عليهـــا بالصداع .. مشكلة الالتزام .. لنساهم في وضع حد لتصادم مفاهيم الالتزام كأنها جماعة من العميان تتسابق داخل مساحة مسورة . وسنختار الادب الشعبي نافذة نطل منها على هذه الدعاوى والاكاذيب والتضليلات المتراكمة .

الادب عمل ذهني وما يفرق بين نوعي الادب الشعبي هو العلاقة بين العمل الذهني والعمل اليدوي في كلا النوعـــين من حيث الاتصال او الانفصال . وظاهرة انفصال العمل الذهني عن العمل اليدوي ظاهرة حديثة في حساب التاريخ الانساني الطويل . ففي المنطقة التاريخية التي نسميها بما قبل التاريخ ، كانت ضرورات الحيـــاة تستغرق وقت الانسان وتستهلك طاقاته وتستنفد غاية جهده، فلم تكن هذه الضرورات بظروفها القاسية وما تتطلبه من صراع شاق بين الانسان والطبيعة في سبيل القوت لتسمح بالتفرغ لممارسة العمل الذهني كنشاط مستقل عن العمل اليدوي. فكان هناك ارتباط جذري بين النشاط الذهني والنشاط اليدوي، اذ كان الانسان يعيش لصق الواقع، وعلاقته تلك الوثيقة بالواقع هي التي كانت تكفل له البقاء في تلك الظروف القاسية . وفي هذه الظروف تنتج ادب تلقائي ليشبع ضرورة حياتية ... كان نتاجاً لفعالية وانفعال متبادلين بين الانسان والطبيعة . وكان متناسباً في تلك الفترة من المساواة الفطرية – مع مستوى العلاقات الاجتماعية . وارتباط هذا الادب بالعمل ، والشروط القاسية للعمل ، وتلقائية هذا النشاط الذهني كأشباع ضروري لحاجة حياتية .. كل اولئك كان من شأنه عدم الاهتمام بالصنعة والصياغة والمحسنات والتكلف والاصطناع . لقد كان الادب تعبيراً تلقائياً عن جريان شعوري دفاق وكان اهم مـــا يميز هذا الادب واقعيته الضاربة الجذور في تفاصيل الحياة اليومية ، وجماعيته ، وانسانيته الشفافة.. وكان للادب في هذه المرحلة من المساواة الفطرية وظيفة تعبيرية فقط.

ورويداً رويداً ، كانت تزداد سيطرة الانسان على الطبيعة اذ كان يتعهد ادواته وآلاته بالتحسين المطرد لتظاهره في مواجهته للظروف الحياتية القاسية وتكفل له كمية اكبر من الانتاج بجهد اقل . ورويداً رويداً كانت تتسع رقعة الفراغ . وصاحب ذلك حرمان البعض تدريجياً من ادوات الانتاج لتتركز تدريجياً في ايدي البعض الآخر ، واقترن هذا بحرمان اولئك من نعمة الفراغ التي كفلها التقدم في ادوات الانتاج وتمتع هؤلاء الذين يتملكون الادوات ويختزنون فائض الانتاج بهذه النعمة . وهكذا ظهر التناقض .. وظهر نظام الاجور ، فاصبح هناك من لا يعملون ، ومن يعملون من أجل من لا يعملون . وأصبح في مكنة اولئك ان يشتروا عمل هؤلاء بحد معيشي أدنى روعي فيه دائماً ان يكفل للأجراء مواصلة العمل ليس غير . وهكذا ظهرت السلطة متركزة في تلك الأيدي القليلة التي تتحكم في وسائل الحياة وتملك ان تهب الحياة وأن تقبض الحياة .. وظهر القانون الذي يحمي هذا التناقض . فظهر – مثلاً – القانون المدني الذي يقوم على الملكيـــة الفردية حيث توجد أغلبية لا تملك شيئاً غير العرق والدم والدموع . وظهر القانون الجنائي الذي يرتب العقوبات لحماية الوضع التصاعـــدي من اعتداءات القاعدة . وظهرت الشرائع التي تؤكد هذه التصاعـــدية بسوط الغيبية وتصور المجتمع السماوي مجتمعاً تصاعدياً كالمجتمـــع الأرضي .. كما ظهر الأدب الذي يحمي هذه التصاعدية ويدعو لها ويملأ عيون الاغلبية بالغبار وينفث في عروقها خدر السموم . نستطيع ان نسمي هذا النوع من الأدب بأدب السلطة او الأدب الرسمي او ادب الاحتراف . وقليلون بل ونادرون اولئك الأدباء الذين قدمتهم الطبقة الحاكمة من صلبها على مر العصور. ولقد كانت اغلبية الادباء الرسميين منفصلة عن مصدر اجتماعي قاعدي ، أي عن الطبقة السفلى ، ليرتبطوا نهائياً بالطبقة الحاكمة . هؤلاء يتفرغون من العمل اليدوي ليمارسوا العمل الذهني – الأدب – نشاطاً مستقلاً .. انهم يحترفون الأدب ويسيرون في ركاب السادة. ولأدب هؤلاء وظيفتان : الوظيفة التعبيرية ومن شأنها التعبير عن السادة وإمتاعهم . والوظيفة السياسية – إن صح هذا التعبير – ومن شأنها الدفاع عن السادة والدعاوة لقيمهم ومفاهيمهم وتوطيد التصاعدية بطبع البناء الاجتماعي في مواجهة الأغلبية الحسيرة بطابع إلهي أزلي. وإذن فبظهور التناقض الاجتماعي ظهرت الوظيفة السياسية للأدب واندمجت في الوظيفة التعبيرية اندماجاً عضويـــاً . وكانت للأدب – أي ادب – منذ ذلك الحين هاتان الوظيفتان – التعبيرية والسياسية – عـــلى مر العصور واختلاف السادة وتباين فنون التعبير والدعاوة والامتاع والدفاع . وكان هذا هو أدب المحترفين الذين تفرغوا من العمل اليدوي . وعلى مر العصور كان للأغلبية ايضاً أدبها وكانت له وظيفتاه التعبيرية والسياسية ، فكان يشبع ضرورتها الحياتية بالتعبير عن افراحها واحزانها وآمالها تعبيراً تلقائياً صادقاً مرتبطاً ارتباطاً جذرياً بحياتها التي ترتبط بالعمل وتتوقف عليه .. هذا من ناحية .. ومن ناحية اخرى كان أدب الاغلبية يتمرد على التصاعدية ويجسد التناقض تجسيداً ثورياً هادفاً .

وهكذا نجد طوال التاريخ الانساني تياراً ادبياً هابطـــاً من القمة إلى القاع .. من السلطة وأدباءها إلى الجماهير المحكومة الأسوانة . يحمل هذا التيار – بوظيفته السياسية – رواسب يهيلها على عقول الجماهير فتراكم لتلفع الملايين بالعدمية واليأس والسلبية والغيبية . يقابله تيار آخر صاعد من القاع الى القمة يزيح – بوظيفته السياسية – الرواسب ما امكن ويخرب في القمة ما أمكن ويتمرد على القاعية والتناقض ويبعث الحيوية والامل والايجابية، وينزع في إصرار إلى مستقبل من النور والخبز والحرية والسلام . هـــذا وظاهرة اتصال العمل الذهني بالعمل اليدوي التي قلنا انها كانت موجودة فيما قبل التاريخ وقبل التقدم الآلي وقبل ظهور التنـــاقض الاجتماعي والتي كانت شائعة بالنسبة للأفراد كافة في حال المساواة الفطرية ثم أصبحت حكماً سيزيفياً[1] على الاغلبية من الأجراء على مر العصور بريئة منه أقلية من السادة.. هذه الظاهرة تواجهنا عندما ندلف إلى القرية موطن الأدب الشعبي بتياريه . إذ يواجهنا صراع حامي الوطيس بين تيارين يهبط احدهمـــا ممن انفصلوا عن طبقة الأجراء واحترفوا الأدب وارتبطوا بكبار الملاك ، ويصعد الآخر من صميم طبقة الأجراء، فلكل منهما مصدره الاجتماعي ومحتواه وخصائصه وغايته ، ولكل منهما وظيفتاه – التعبيرية والسياسية – : على ان عراقـــة الأدب الشعبي واصطدام تياريه كل منهما بالآخر كان من شأنه التداخـــل والتزاوج بينهما بطريق التواتر مما يحتاج إلى عملية غربلة في جميـــع فنون الأدب الشعبي تستغرق وقتاً طويلاً وتتطلب جهوداً جبارة وعيوناً فاحصة واعية تستطيع ان تفرق بين المفاهيم «المطبوخة» التي تموّق الحياة والمفاهيم التلقائية التي تساوق الحياة. ذلك لأن مفاهيم السلطة في اتصالها المستمر بالقاعدة لا تلبث ان تجري في عروق الجماهير سموماً تصبح عقيدة ظاهرية تكمن تحتها

---

١ نسبة إلى سيزيف الشهير .

عقيدة حياتية لا تكف ابداً عن التمرد والصراع .

فأدب السلطة .. ادب الاحتراف .. ادباء الندماء .. يعبر عن حياة السادة ويؤكد أزلية التصاعد .. بينما يعبر أدب الشعب .. أدب العمل.. عن حياة المسودين ويتمرد على التمايز والتصاعدية. ولنحاول أن نقابل بين هذين التيارين في المثل الشعبي وهو أحد فنون الأدب الشعبي . نرى السلطة تؤكد التمايز بين الانسان والانسان وتبرر هذا التمايز :

« لما انا امير وانت امير .. من يسوق الحمير ؟؟ » .. ولكن الحياة تصر على المساواة بين الانسان والانسان لأننا جميعاً « أولاد تسعة أشهر » .. والسلطة تسوق ملايين العمال إلى اعمال السخرة .. ثم تحث السوائم على الاخلاص في العمل ولو كان بلا مقابل لتبرر السخرة : « اشتغل بقلبك ولو كان سخرة » !! .. وأما الحياة فتصر على الأجر : « أعط الأجير حقه قبل ما ينشف عرقه » .. وتصر على التكافؤ بين الجهد والأجر : « الأجر على قد المشقة » .. والسلطة تصر على التناقض « تمسك بنحسك لا يجيك أنحس منه » ! .. والحياة تتمرد على التناقض : « إبن مين اللي محمول .. إبن اللي عندها المأكول . وأبن مين اللي ماشي .. إبن اللي ما عندها شي». و .. « أبوك مات من الجوع .. قال : هو لو طال حامض كان مات !?». والحياة تتمرد على من يأكلون ولا يعملون : « وآكل شارب على الحمار راكب » .. وتتمرد على استغلال الانسان للانسان : « إخدموني وانا سيدكم » و .. « إجري يا مشكاح اللي قاعد مرتاح » و « إذا رأيت الفقير بيجري إعرف انه بيقضي حاجة للغني » .. والحياة تتمرد على البطالة .. فالبطالة هي الجوع والتشرد .. فتحث السيد المالك على إيجاد عمل للعاطل ولو ان يحفر بئراً ثم يعود فيردم هذا البئر « احفر بير واردم بير ولا تعطل الأجير » .. والحياة لا تعرف التأجيل والتسويف ولا تعرف جنة في الغيب تؤجل إلى ما بعد الموت : « إحيبني النهار ده وموتني بكرة » .. والحياة تريد الخبز لا الوعود ولا القول المعسول : « إشبعني من بطني »..

والحياة تريد السلام.. فهذه أم حمرى تنصح ابنها الذي سيق وقوداً الحرب المطامع فتقول :

خايفه عليك م الحرب يا قلبي
لياخدك لهيب النار يا شلبي
يا ولدي اوعى تقف في الحرب من قدام
لياخدك لهيب النار يا عجبان ..
يا مين يقول لي درب اللظى سدوه
كفوا البنادق والبارود كبوه !!

هذا وأدباء القرية الذين لم يتفرغوا من العمل اليدوي ولم يحترفوا الأدب ولم يتكسبوا به .. أولئك مرموقون من الجماهير بالإجلال والاحترام والتقدير . واما اديب السلطة ، هذا الذي تفرغ من العمل واحترف الأدب ومضى يطرق به الأبواب العالية ، هذا يسميه الشغب بـ« الأدباتي».. وهي تسمية لاذعة ساخرة في العرف الشعبي تتضمن بالغ احتقار لهذه الفئة التي يعني الأدب عندها كل ما يرضي السادة من إمتاع لهم ودفاع عنهم. فهم ضيقو الأفق محدودون بقضبان الصنعة والتكلف والزخرفة وهم ندماء السادة وسلاحهم في آن . وهم عاجزون عن إرضاء حاجات الأغلبية الروحية بحكم ارتباطهم بالسادة .. وهم الآباء المجهولون لنظرية الأدب للأدب رغم ان السيادة التي يخضع لها الآن دعاة الأدب للادب أصبحت سيادة غير مباشرة .. وأصبحت تبعيتهم للسلطة تبعية غير مباشرة .

لندقق النظر .. ما من ادب على الاطلاق في تاريخ الانسانية الطويل يمكن ان يسمى أدباً للادب سواء في لغة العامة او في لغة الخاصة (الفصحى) .. والمخادعون يعلمون ان للادب – اي ادب – وظيفتين في مجتمع التناقض.. الوظيفة السياسية مندمجة في الوظيفة التعبيرية بحيث لا يمكن الفصل بينهما . وتتحد ملامح الوظيفة السياسية بما اذا كان الأدب أدب السلطة واتباعها وابواقها – في سيادة مباشرة أوغير مباشرة – او ادب المحكومين البعيدين عن السلطات . إن هذا الذي يصر المخادعون والمخدوعون – الأدباتيون – على اعتباره أدباً للادب هو في جوهره أدب حياة..وأدب إنساني.. ولكن أية حياة ؟.. وأي إنسان ؟.. هنا مفترق الطرق ! .. وهنا مربط الفرس كما يقولون .

رأينا في الأدب الشعبي نوعين من الأدب .. أولهما ادب السلطة وهو يعبر عن حياة السادة ويشبع نزوعهم الى الترف والمتعة والزينة .. ثم هو يبرر هذه الحياة.. وهذه السيادة، ويؤكدها ويحميها ويدعو لها، ثم هو ينشر في المسودين التشاؤم والسلبية والقدرية والهزيمة كطريقة من طرق الدفاع عن الانسان السيد. وأحياناً تكون هذه التشاؤمية والسلبية والهزيمة تعبيراً عن حاضر السلطة المأزوم في فترات انهيار الطبقة الحاكمة وصعود طبقة أخرى تنتزع السلطان رويداً رويداً اذ تتحكم في وسائل الانتاج عند تغير هذه الوسائل في فترة تاريخية معينة ... والنوع الثاني الذي قابلناه في الأدب الشعبي هو ادب المسودين وهو يعبر عن حياة هؤلاء ويتمرد على هذه السيادة. فأدب المحترفين إذن ليس ادباً للادب .. وإنما هو ادب حياة معينة – حياة السادة – .. وهو ادب انساني بمعنى معين – الانسان السيد – .. هذا المعنى النسبي للحياة .. وللانسان هو ما نريد ان ندق عليه حتى لا تتورط عندما نتحدث عن الادب في الاطلاق والتجريد والتعميم . فما من ادب وجد في تاريخ البشرية – بعد ظهور التناقض الاجتماعي – إلا وكانت له هاتان الوظيفتان معاً .. التعبيرية والسياسية .. والقول بأدب للأدب إن هو إلا تضليل وزعم لا يثبت على أساس من واقع أو من تاريخ. وإذن فكل ادب في كل مراحل التاريخ التي اعقبت التناقض هو أدب متحيز .. وادب دعاية إما لأيديولوجية صاعدة او لأيديولوجية هابطة . ولافتة « الأدب للأدب» لافتة مغرية مصطنعة مكتوبة بحروف من العسل لتخفي وراءها حقيقة تحيز أنصار الادب للادب . وإذن لم تعد المشكلة ان يكتب الأديب عن السادة او عن المسودين .. وإنما هي ما يستهدفه الأديب بالكتابة عن اولئك او عن هؤلاء . فالواقع ان الأدب يعبر عن أي حياة . ولكن الذي يفرق بين ادب وأدب هو الغاية التي ينشدها الأديب من تصويره لحياة السادة او لحياة المسودين . فقد يصور حياة السادة ليبررها ويدافع عنها .. وهو نوعياً .. كذلك الذي يصور حياة المسودين ليبررها ويرد ظواهرها الى علل غيبية محاولاً ان يطمس الصراع وان يعوق تمرد المسودين على التناقض بالتخدير والسموم . فالغاية هنا واحدة رغم اختلاف نوع الحياة التي يصورها كل منهما . وقد يصور الاديب حياة المسودين ليجسد ما وراءها من تناقض غير مشروع وغير إنساني يمد جذوره في اعماق المجتمع فهو يضع يد القارىء بتعبير جوركي على « الخيط الذي لا يُرى » .. الخيط الخفي الذي ينتظم جميع هذه الظواهر .. فهو يعلن التمرد على هذا التناقض ويبعث في نفس القارىء هذا التمرد . وهو نوعياً كذلك الذي يصور حياة السادة ليبرز ما تقوم عليه هذه الحياة من تناقض غير مشروع وغير انساني . العبرة اذن اولاً واخيراً بما يستهدفه الاديب من كتابته رغم اختلاف المجال الذي يغمس فيه الاديب قلمه . وما يستهدفه الاديب هو ما يلتزم به الاديب . وإذن فالعبرة بهذا الذي يلتزمه لا بمجرد التزامه . لانه لا بد ملتزم .. لا بد

هادف بكتابته – شاء او لم يشأ – إلى غاية تحددها له وضعيته بالنسبة للتناقض الاجتماعي .. وضع طبقته بالنسبة لمتجه التطور أو موقفه بالنسبة لهذا التناقض . وموقفه بالنسبة لاتجاه الحركة التاريخية . معنى هذا ان الالتزام مفروض في الاديب .. مفروض على الاديب أياً كانت غايته من هذا الالتزام – ويبقى من حقنا دائماً ان نكشف في كتابته عن هذه الغاية إذ لم تعد المسألة مسألة ان يلتزم او لا يلتزم لأنه مجبر على الالتزام . مجبر على اتخاذ موقف . هذا الموقف هو الذي يحدد نوع التزامه .. واتجاه هذا الالتزام . ونحن هنا نصدر من فهم جديد للأدب يعتبر الادب كأي نشاط إنساني ظاهرة اجتماعية، ومعنى هـذا خضوع النشاط الادبي للتفسير نفسه الذي يخضع له كل نشاط اجتماعي .. ومقتضى هذا الفهم رفض النظرة الاثيرية للادب التي تقوم العمل الادبي في ذاته بمعزل عن وعائه – عن مجتمعه – والتي تطبعه بطابع إلهامي شيطاني فتجعل من عالم الادب عالماً فوق المجتمع وفوق الطبيعة وفوق كل حتمية وكل ضرورة وكل قانون .. عالماً « ميتاً ادبياً » كالعالم الميتافيزيقي. ومن شأن نظرتنا إلى عالم الادب كظاهرة إجتماعية إعتبار الفنان – لا أنا إلهية متوحدة – بل كائناً إجتماعياً له في الوقت نفسه ذاتيته وهو يستمد قيمته لا من مجرد هذه الذاتية المقفلة بل من تكامل لازم وضروري بين هذه الذاتية وبين كينونته الاجتماعية . فهـذه الذاتية متأثرة بالمحيط الاجتماعي مؤثرة بوجه من اوجه النشاط الانساني في المحيط الاجتماعي . وتبادل التأثير هـذا لا يسمح بزعم انعزال . فالفنان في اشد حالات توحده وتفرده وانغلاقه وانعزاله منضو بوجه من الوجوه مؤثراً ومتأثراً .. فاعلاً ومنفعلاً. وعندما نقول احياناً ان اديباً ما انعزالي فليس معنى هـذا إنتفاء التفاعل البندولي بين المجتمع والذات ، وإنما نعني به تخلفه عن مسايرة اتجاه الحركة الاجتماعية الصاعدة الهادفة – في فترة تاريخية معينـة – إلى توطيد منطق التطور . فهو انعزالي بالنسبة لموقفه من هذا الاتجاه .. أما بالنسبة لتفاعله مع المجتمع فهو منضو بالضرورة في حركة اخرى مضادة تستهدف تعويق التيار الجارف في صراع مستميت . فما من اديب إلا وهو منضو إما في تيار امامي او في تيار ورائي . وانضواؤه في هذا التيار الاخير هو ما نسميه نسبياً بالانعزال . معنى هذا ان وراء كل اديب موقفاً اجتماعياً معينـاً – ادرك او لم يدرك – يجب ان نفتش عنه فيما يقدمه الينا من عمل لنعرف مع اي الحركتين يسير .

مكتبة هاشم – شارع سوريا – بيروت

تلفون ٢٦٠٧٩

كتب مدرسية – احدث المنشورات الادبية – ادوات قرطاسية

معمل اختـام كاوتشوك – تجليد كتب – تصليح اقلام حبر

تعبئة اقلام الحبر الناشف

من مؤلفات المجتهد الاكبر المرحوم السيد محسن الامين

دعبل الخزاعي	العلويات العشرون
ابو نواس	ديوان امير المؤمنين
الرحلة العراقية الايرانية	عجائب احكام امير المؤمنين
المجالس السنية ١٥ جزءاً	زيد الشهيد ابن علي بن الحسين
تبصرة المتعلمين في احكام الدين	الشهيد الثاني
نقض الوشيعة	لواعج الاشجان
مناسك الحج	اصدق الاخبار بالاخذ بالثار
الدر الثمين في اصول الدين	اعيان الشيعة الجزء ٣٦
ديوان ابو تمام	اعيان الشيعة مجموعة ٣٥ جزءاً

وكتب مختلفة تطلب من المكتبة بالجملة والمفرق

ومعنى هذا أن الحيادية في الأدب – تلك التي يزعمهـا انصار الادب للأدب – أكذوبة كبرى يجب فضحها . فالأديب محكوم عليه بالانضواء .. بالالتزام .. إما بأن يساير تيار التطور وإما بأن يضاد هذا التيار . أمـا الأديب الاثيري .. وأما الموقف الحيادي للأديب.. فحالة لم تحدث بعد على سطح هذا الكوكب ولن تحدث . لأن من طبيعة العمل الادبي ونوعيته إستحالة الوقوف موقف الحياد من صراع يدور في ساحة المجتمع . فالعمل الادبي بطبيعته نشاط إنساني في مواجهة مجتمع .إنه علاقة بين الاديب والمجتمع يلعب العنصر الذاتي في هذه العلاقة الدور الأول.ويتأثر هذا العنصر بوضعية الأديب في المجتمع.يعبر الاديب عن هذه الوضعية ويستهدف حمايتها اوتغييرها تبعاً لمقتضى الحال واتجاه التطور .والموقف الحيادي للأديب امر غير متصور لأنه في مجتمع الصراع محكوم عليه بالمشاركة في الصراع على نحو ما .. إذ لا يتصور حياد الانسان إلا في حالة واحدة ليس غير : عندمـا لا تتوقف الحقيقة على تدخل ذاتي أو تأويل شخصي .. أي عندما تتوقف الحقيقة على منطوق الموضوع لا على تدخل ذاتي بالتأويل .. شأن المعرفة العلميـة في العصر الحديث في الرياضيات والعلوم الطبيعية والعلوم البيولوجية – وإن كان يجوز فيها التدخل الشخصي– إلا انها ابرز وآمن مجالات الموضوعية وأبعدها عن التدخل الشخصي إذ يمكن أن يقف الانسان منها موقف الحياد . إنها مجالات للعلاقة بين الانسان والطبيعة . والحقيقة العلمية في هذه المجالات لا تهدد وضعية العالم الاجتماعية تهديداً مباشراً.وبذا ترفع الحصانة عن كل معرفة لا تتوفر فيها شروط المعرفة العلمية من إمكان التوقف على منطوق الموضوع وانتفاء للتدخل الشخصي . فلا تتصور الحيادية في العلوم السياسية والاجتماعية والاخلاقية والسيكولوجية الشائعة كما لا تتصور في الادب والفن والفلسفة ما لم تدرس هذه المجالات جميعاً على أساس من القانون الطبيعي .. قانون الديالكتيك .. فنحن إذن لا نقصد إلى ان هذه المجـالات محرومة من الموضوعية إطلاقاً كما قد يتبادر إلى ذهن القارىء،وإنما نعني أن دراستها على أساس غير جدلي هو الذي يسمح بالتدخل الشخصي . وأما دراستها جدلياً فهي وحدها التي تتوفر فيها الموضوعية . وفي هذه المجالات المحرومـة من الحصانة – بمعنى – يكون علينا دائماً أن نحفر عن هذا التدخل.فالموضوعية – القائمة على أساس غير جدلي – في هذه المجالات تعبير خادع ومجازي يقتضي غير قليل من الحذر والتربص .. وعلينا عندما نواجه احد هذه المجالات أن نواجهه على أساس من الحقيقة العلمية الموضوعية التي يصرخ بها منطق التطور فالادب اذن ظاهرة إجتماعية لا يتصور معها حياد .. وعلى حـد التعبير القانوني نقول إن براءة ذمة الأديب أمر غير متصور . فذمته دائماً وأبداً مشغولة محملة بالتزام . وتحدد نوع هذا الالتزام ومضمونه وغايته مصلحة الجماعة التي يرث وضعيتها في البناء الاجتماعي .. أو بمعنى آخر موقفـه من طرفي الصراع .

ينتج ممن هذا أن ليس ثمة أدب للادب على الاطـلاق سواء في لغة الخاصة أو في لغة العـامة . وقد رأينا هذا جيـداً في محيط الادب الشعبي وهو أدب العامية . ونستطيع أن نراه في أدب الفصحى . نستطيع أن نقرأ أدباً لأنصـار الأدب للادب فتكشف لنا العين الفاحصة أنه ليس للادب كما يزعمون بل هو أدب لحياة معينة .. وإنسان معين .. وهو أدب ملتزم بغاية معينة يسعى إليها .. وينتج من هذا كـله بطلان المقابلة

بين الأدب الشعبي على إطلاقه والادب للادب . وينتج أن الذي ينبض بروح صاعدة — سواء في أدب العامية أو في أدب الفصحى — هو أدب للحياة .. وأدب إنساني وأدب ملتزم — كالادب للادب — بمعنى نسبي يجب ألا يخدعنا عنه تصادم الدلالات للاصطلاح الواحد . والمسألة بعد لم تعد مسألة هبوط الاديب إلى مستوى الغوغاء كما يصورها العقاد، مادامت المعركة، كما رأينا ، دائرة رحاها في ادب الغوغاء أنفسهم.. وقد يكتب العقاد أو طه حسين أو توفيق الحكيم او تيمور بالعامية ويظلون مع ذلك في زمرة (الادباتيين).. والادباتيون في نظر السلطة اعلى من مستوى الغوغاء .. ولكنهم في نظر الغوغاء .. فئة محتقرة .. ويمكننا بعد هذا ان نكشف الادباتيين .. والتجار المقنعين وان نفتح اعين أولئك الضحايا المخدوعين .

وهكذا ايضاً لم تعد المسألة مسألة عامية اوفصحى او عجمى ما دامت المعركة بين الادب الشعبي (للحياة) والادب الشعبي (للادب) مستعرة داخل الادب الشعبي ذاته وهو ادب العامية .. ومعنى هذا اخيراً ان القضية لم تعد قضية ذوبان او توحد ذاتية الاديب . فقد رأينا كيف ان مؤدى نوعية العمل الادبي استحالة الحياد .. وكيف ان الاديب في أضيق حالات تفرده وتجمده وانعزاله منضوٍ حتماً بوجه من الوجوه .. وكيف انه محكوم عليه بطبيعة عمله بالانضواء .. ورأينا كيف ان أنصار الادب للادب منضوون وملتزمون ومتحيزون . فكيف تراهم يحتفظون بذواتهم متفردة غير ذائبة ما داموا منضوين بالفعل وما دام في الانضواء كما يدعون ذوبان ذاتية الاديب في محلول جماعي ؟ ! فقط نريد منهم ان يعلمونا المعجزة التي تحفظ لهم ذواتهم غير ذائبة رغم انضوائهم ..!!.. والحق انهم يعنون في النهاية ان انضواءهم وتحيزهم والتزامهم هو وحده الذي يتيح لمن ينضوي معهم ان يحقق ذاته .. أما اي انضواء مغاير .. وأي تحيز مغاير .. واي التزام مغاير .. فمن شأنه ذوبان ذاتية الاديب .. ثم هم بكل تبجح يفترضون ان هذا شيء قابل للتصديق والاجازة ، وأننا من السذاجة والغفلة وطيبة القلب بحيث نصدق هذا اللف وهذا الدوران .. وعلى حد تعبير أبي العلاء :

هـذا كلام له خبيء   معناه ليست لنا عقول!..

ترى هل لنا عقول ؟؟

هذا ما يشك فيه الادباتيون !..

القاهرة   **نجيب سرور**

دار بيروت - للطباعة والنشر

بناية العازارية ، تلفون ٤٠٠٠ بيروت - لبنان

صدر حديثاً

تشايكوفسكي

الكتاب الثاني

من مجموعة أعلام الموسيقى

تأليف

روستيسلاف هوفمان   جيرالد أبراهام

ترجمة الدكتور فؤاد ايوب

الثمن ليرة ونصف

•

هذه هي الماسونية

الكتاب الثامن

من المجموعة العقائدية

تأليف   ترجمة

ر. فورستيه   بهيج شعبان

الثمن ليرة ونصف

•

بيتهوفن

الكتاب الاول

من مجموعة أعلام الموسيقى

تأليف

ادوار هريو   رومان رولاند

ترجمة الدكتور علي شلق

الثمن ليرة ونصف

تطلب في بغداد من السيد محمود حلمي — العراق

« « تونس من السيد محمد خوجه — شمال افريقيا